٣٠

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرل للتنمية والدراسات الإسلامية

الإيثار

الشيخ زهير عبود الاسدي

1434هـ - 2013م

الإيثار

الإيثار هو سلوك إنساني نبيل يُعبّر عن تفضيل مصلحة الآخرين على مصلحة النفس، ويُعد من أسمى القيم التي يحث عليها الاسلام. يعكس الإيثار تلاحم المجتمعات وتعاون الأفراد في سبيل تحقيق الخير العام، حيث يتسم الشخص المُؤثر بتقديم المساعدة والتضحية بما يملك من وقت أو مال أو جهد من أجل الآخرين دون انتظار مقابل.

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ))[1]

وردت عدة روايات في سبب نزول هذه الآية الشريفة فقد روى العلامة الطبرسي (رض) بأن هذه الآية نزلت في المهاجرين والأنصار هذا قول، وقيل نزلت في سبعة عطشوا في يوم أحد فجيء بما يكفي لأحدهم فقال واحد منهم ناولوا فلانا حتى طيف على سبعتهم وماتوا جميعا ولم يشربوا فأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم، وقيل نزلت في رجل جاء الى رسول الله (صلى الله عليه واله) فقال اطعمني فأني جائع، فبعث الى اهله فلم يكن عندهم شيء فقال من يضيفه هذه الليلة فأضافه رجل من الانصار واتى به منزله ولم يكن عنده إلا قوت عياله، فأتوا بذلك اليه وأطفئوا السراج وقامت المرأة الى الصبية فعللتهم حتى ناموا، وجعلا يمضغان السنتهما لضيف رسول الله (صلى الله عليه واله) فظن الضيف انهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين، فلما اصبحا غدوا الى رسول الله فنظر اليهما وتبسم وتلا عليهما هذه الآية، ثم يقول الطبرسي وأما الذي رويناه صحيحا عن ابي هريرة ان الذي اضافه ونوم الصبية وأطفئوا السراج عليا وفاطمة (عليهما السلام)[2].

والشيخ الطوسي في اماليه ذكر أربع روايات تدل على انهما علي وفاطمة (عليهما السلام) ويقال ان الذي اضاف الضيف هو ابو طلحة الانصاري[3] بينما يقول الرازي بأن هذه الآية الشريفة نزلت بسبب ايثار الانصار المهاجرين بالفيء ثم قال: ثم لا يمتنع انم يدخل فيها سائر الايثارات[4].

هذا بالنسبة الى سبب نزول هذه الآية المباركة.

---

[1] - سورة الحشر (٩)
[2] - تفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٣
[3] - الدر المنثور ج ٦ ص ١٩٥
[4] - تفسير الرازي ج ٢٩ ص ٢٨٧

أما بالنسبة الى معنى الآية او جزء الآية الذي اخترناه فقد قال الشيخ الطوسي (قدس): قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم أي يختارون على انفسهم من يولونه من مالهم من المهاجرين والانصار يفعلون ذلك ولو كان بهم خصاصة يعني حاجة، والخصاصة الحاجة التي نختل بها الحال، والخصاص الفرج يتخللها البصر والواحد خصاص وأصله الاختصاص بالانفراد بالأمر و الخصاص الانفراد عما يحتاج اليه والخصوص الانفراد ببعض ما وضع له الاسم والخص انفراد كل قصبة من اختها في الاشراج والخاصة انفراد المعنى بما يقوله دون غيره[٥].

اما بالنسبة للإيثار فهو ارادة التفضيل لأحد الشيئين على الاخر ومثله الاختيار وقد قال الشيخ الطوسي في تفسير الآية (٩١) من سورة يوسف: أصل الايثار الاثر الجميل فيما يؤثر على غيره بمنزله ماله أثر جميل والآثار الاخبار لأنها أثر ما تقد في امر الدين والدنيا[٦].

اما الرازي فيقول: أثره بكذا إذا خصه به ومفعول الايثار محذوف، والتقدير ويؤثرونهم بأموالهم ومنازلهم -أي الانصار ويؤثرون المهاجرين- والخصاص هي الفرج وكل خرق في منخل او باب او سحاب او برقع فهو خصاص[٧].

فهم يؤثرون ويفضلون غيرهم على انفسهم واموالهم وعيالهم ولو كانت بهم فاقة وحاجة، فضلا عما اذا كانوا ميسورين، وهذه الصفة هي من صفات المؤمن فقد ورد عن جميل عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول ان مما خص الله (عز وجل) به المؤمن ان يعرفه بر اخوانه وان قل وليس البر بالكثرة وذلك ان الله عز وجل يقول في كتابه: ((وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) ومن عرفه

[٥] - التبيان ج ٦ ص ١٩٠
[٦] -التبيان ج ٩ ص ٥٦٦
[٧] - تفسير الرازي ج ٢٩ ص ٢٨٧

الله عز وجل بذلك احبه الله ومن احبه الله تبارك وتعالى وفاه الله اجره يوم القيامة بغير حساب، ثم قال: يا جميل أروي هذا الحديث لإخوانك فأنه ترغيب في البر[٨].

ومؤكد فأن الذي يؤثر اخوانه فأنه بذلك يبر اخوانه على ضوء هذا الكلام المبارك للإمام الصادق (عليه السلام) ويقول الامام (عليه السلام): خياركم سمحائكم وشراركم بخلائكم ومن خالص الايمان البر بالإخوان، والسعي في حوائجهم وان البارون بالإخوان ليحبه الرحمن في العسر واليسر، ثم قال: يا جميل أما ان صاحب الكثير يهون عليه ذلك، وقد صرح الله عز وجل في ذلك صاحب القليل فقال كتابه: ((وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...))[٩].

فالذين يختارون غيرهم من المحتاجين ويقدمونهم على أنفسهم وهم في حاجة وفقر عظيم فأولئك هم الفائزون برضوان الله (سبحانه وتعالى) ومعلوم ان هذه الآية تحمل في طياتها عموم وشمول لكل يؤثر غيره على نفسه وكل يبر اخوانه وكل شيء فيه ايثار فالبعض يؤثر غيره بماله والاخر بطعامه والثالث بملبسه وهكذا، ولكن هناك ايثار ما بعده ايثار وهو الجود بالنفس في سبيل الله سبحانه فأن النفس أعز من كل شيء ومع ذلك ترى الانسان المؤمن يجود بها في سبيل اعلاء واثبات الدين وكما يقول مسلم بن الوليد:

تجود بالنفس إذا انت الضنين بها والجود بالنفس اقصى غاية الجود

يصور لك ويخيل وذلك المعنى في معركة الطف ذلك الرمز الخالد حامل اللواء أبي الفضل العباس بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) الذي جاهد في يوم الطف الخالد ونال تلك المرتبة العالية والسامية والرفيعة، ولم يكن العباس (عليه السلام) بالشخص العادي، فقد روي عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال: كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة

[٨] - الكافي للكليني ج ٢ ص ٢٠٦
[٩] - من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٦١

صلب الايمان جاهد مع ابي عبد الله (عليه السلام) وأبلى بلاءا حسنا ومضى شهيدا وروي عن علي بن الحسين (عليه السلام) انه نظر يوما الى وابلى وفدى اخاه بنفسه[١٠].

قد ذكر الكثير من المؤرخين ان العباس كان في عمله وايمانه قريبا من منزلة الائمة المعصومين، فقد كان حامل اللواء في الجيش الحسيني وهو رئيس الجيش وساقي العطاشى وكان جنديا متفانيا في خدمة وطاعة اخيه سيد الشهداء (عليه السلام) حتى النفس الأخير.

[١٠] - ١- أعيان الشيعة ج ٧ ص ٤٣٠